من الدول الإسلامية التي حكمت الهند : الدولة الغورية

الغوريون وبلاد الهند

٢

للدكتور أحمد رجب محمد على (*)

فى جبال غورستان نشأت الدولة الغورية ، وقوى أمرها فى الوقت الذى كانت تسير فيه الدولة الغزنوية فى شيخوختها نحو الغروب ، وعلى يد هذه الدولة الناشئة كانت نهاية الدولة الغزنوية فى (غزنة) وفى الهند ، وتنسب هذه الدولة إلى مؤسسها الحسين بن الحسن الملقب بعلاء الدين الغورى الذى زحف إلى (غزنة) واستولى عليها وفر من أمامه ملك الغزنيين (بهرام شاه بن مسعود بن محمود الغزنوى) واستولى عليها ، غير أن (بهرام) الذى فر سنة ٥٤٧ هـ - ١١٥٢ م من (غزنة) استطاع أن يرجع إليها بمساعدة الأهالى الذين انقضوا على نائب علاء الدين فى (غزنة) وعزلوه وقتلوه غير أن (علاء الدين) استرجع (غزنة) من الأهالى ، ونكل بهم ، وهزم ملكهم (خسروشاه بن بهرام شاه) وظلت غزنة بيده حتى توفى [1] .

وبعد وفاة علاء الدين قدم غياث خان بن أخيه الذى كان فى « ماندو » واستولى على دست السلطنة ، وتلقب بلقب أبو القيم محمد الغورى ، وفى عهده دخلت البلاد فى حروب كثيرة مع الغزنويين الذين كانوا قد استولوا على « غزنة » عقب وفاة علاء الدين الغورى إلا أن محمداً الغورى شاه تمكن من هزيمتهم ونكل بملكهم وقضى على حكم الغزنويين ، وبعد وفاة محمد

(*) الكاتب : مدرس الآثار والعمارة الإسلامية - كلية الآثار - جامعة القاهرة .

(١) عبدالمنعم النمر : المرجع السابق ، ص ٩٨ .

الغورى تولى أخوه شهاب الدين الغورى الذى يعد من أشهر غزاة الهند بعد السلطان محمود الغزنوى ، فقد غزا مقاطعة « ملتان » سنة ٥٧١هـ (١١٧٥م) وفتح (لاهور) سنة ٥٧٢هـ (١١٧٦م) وذلك تخلص من منافسيه من الدول الإسلامية المناظرة ، ثم اتجه بعد ذلك إلى التوسع ففتح « أزمير » ، و « هانسى » و « سيرسونى »[٢] وفى سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣م) فتح شهاب الدين (دهلى) وضمها إليه ، وبذلك أصبحت عاصمة للهند الإسلامية على يد المملوك قطب الدين أيبك مملوك شهاب الدين الذى عينه نائبا له على البلاد المفتوحة ، ولم يلبث شهاب الدين أن قتل سنة ٦٠٢هـ (١٢٠٦م) وبعد قتله شغل الغوريون بالتآمر على العرش فيما كان قطب الدين قائما على الحكم فى الهند مستقلا بها بعد أن وافق الملك الغورى الذى خلف شهاب الدين وهو محمود بن غياث الدين على بقائه وبذلك أتيح الأمر لقطب الدين لإنشاء دولة مستقلة فى الهند يتولاها المماليك من أسرته[٣] .

الهند تحت حكم المماليك

بعد مقتل السلطان شهاب الدين الغورى ضعف أمر الدولة الغورية وأخذ الغوريون فى التناحر على العرش بينما كان قطب الدين ايبك شبه مستقل بحكم الهند وبدأ فى توطيد نفوذه بها ونشر الإسلام وإنشاء المساجد[٤] واستمر قطب الدين أيبك يحكم الهند حتى توفى سنة سبع وستمائة ببلدة « لاهور » فدفن بها وخلفه من بعده ولده (أرام شاه بن قطب الدين) وكان شمس الدين التمش مملوكا لقطب الدين وصاحب عسكره ، فلما سمع بذلك سار إلى دهلى واستبد بالملك ودعا الناس إلى بيعته ، فبايعوه ، وقد استقل التمش بالملك ستا وعشرين سنة ، وأنصف المظلومين وقام بعدة غزوات فى « البنغال » سنة اثنتين وعشرين وستمائة وانتزعها من يد (الأمير غياث الدين الخلجى) وأقام له الخطبة والسكة بها وأمّر عليها ولده ناصر الدين محمود ، وظل يجاهد المشركين حتى مات سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بدهلى فدفن بها[٥] .

وبعد شمس الدين تولى الملك ركن الدين ابن التمش الذى اتجه إلى اللهو واللعب واستولت أمه « تركان خاتون » على الملك وكانت « رضيه » بنت التمش شقيقته فأنكرت عليه ذلك فأراد قتلها فلما كان يوم الجمعة وخرج ركن الدين إلى الصلاة صعدت رضيه على سطح القصر القديم المجاور للجامع الكبير ولبست ثياب المظلومين[٦]

John Briggs. History oı the rise of the Mohamedon power India calcutta 1910 - p. 193 - 194.

وأنظر : عبدالحى الحسنى الندوى : المرجع السابق ،ص١٦٨ ، ١٦٩ ـ عبدالمجيد العبد : المرجع السابق ، ص ٩ .

(٣) د . عبدالمنعم النمر : المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٤) د . عبدالمنعم النمر : المرجع السابق ، ص ١٠٤ ويمكننا أن نلاحظ بسهولة التشابه بين دولة المماليك فى الهند ودولة المماليك فى مصر فكلاهما جاء إلى الحكم بطريق سلمى دون حروب .

(٥) عبد الحى الحسنى الندوى : المرجع السابق ، ص ١٧٨ ـ ١٧٩ .

(٦) كان شمس الدين التمش قد استن سنة لدفع المظالم وأخذ الحق للمظلوم ، حيث كان أهل الهند يلبسون الثياب البيضاء عند الذهاب إلى المسجد يوم الجمعة (مسجد الجامع) فأمر بأن يلبس كل مظلوم الثياب المصبوغة حتى إذ ما رآه أو رآه أحد أمرائه علم أنه مظلوم فنظر فى مظلمته ، أنظر عبدالحى الحسنى الندوى ، الهند فى العصر الإسلامى ص ١٧٩ .

وتعرضت للناس وكلمتهم من أعلى السطح وقالت لهم : إن أخى قتل أخاه ويريد أن يقتلنى فثار الناس على ركن الدين وهو فى المسجد فقبضوا عليه وأتوا به فقالت لهم : القاتل يقتل قصاصا بأخيه ففعلوا ، واتفق الناس على تولية « رضيه » بنت التمش الحكم وكانت مدة سلطة ركن الدين ستة أشهر وبضعة أيام فقتل فى سنة أربع وثلاثين وستمائة[٧] .

وقد تولت « رضيه » الحكم لمدة أربع سنوات ثم خلعت وخلفها أخوها محمود ناصر الدين وكان صبيا ضعيفا فاستبد بالحكم القائد « بليان » أحد مماليك أبيه ، واستطاع أن يخمد الثورات التى قامت فى عهده ، ويصد غارات المغول التى أخذت فى الازدياد ، وقد توفى ناصر الدين سنة ٦٦٤هـ ، / ١٢٦٦م وخلفه القائد « بليان » الذى ظل يحكم مدة عشرين عاما حتى وفاته سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م وقد أوصى « بليان » بالحكم بعده لحفيده (خسرو) إلا أن نائب السلطنة فى ذلك الوقت « كيقباذ » استولى على الحكم وكان لاهيا عابثا ، مرض - بعدئذ - وأصيب بالشلل ، وهنا تنازع الأتراك والأفغان على من يلى الحكم ، فالأتراك يريدون أن يستمر الحكم فى أسرة « بليان » لأنه مملوك تركى ، والأفغان يريدون أن يتولى الحكم (جلال الدين فيروزالخلجى) وكان كيقباذ قد عينه نائبا له فى أواخر أيامه وانتهى الصراع بتوليه جلال الدين فيروز الخلجى السلطة ، وبذلك انتهى حكم المماليك ، وبدأ حكم دولة جديدة هى الدولة الخلجية[٨]

الهند تحت حكم الخلجيين

استطاع « جلال الدين فيروز الخلجى » أن يستولى على مملكة دهلى سنة تسع وثمانية وستمائة بعد قتل معز الدين كيقباذ آخر ملوك دولة المماليك وكان حليما فاضلا أدى حلمه إلى قتله حيث كان له ابن أخ اسمه علاء الدين زوجه بابنته وكانت تؤذيه فيشكوها علاء الدين إلى عمه فيصلح بينهما وفى ذات مرة خرج علاء الدين للغزو فغنم غنائم كثيرة لم يبعث بها إلى جلال الدين فأرسل إليه جلال الدين فلم يأت فقال أنا أذهب إليه وذهب إليه فاتفق علاء الدين مع بطانته أنه عندما يأتى جلال الدين ويعانقه يفتكون به من الخلف وتم له ما أراد وقتل جلال الدين سنة ست وتسعين وستمائة[٩] وقد حكم « علاء الدين الخلجى » بعده مدة عشرين عاما اتسعت من حدود ملكه لدرجة لم تتفق للملك قبله وتوطدت الأمور وسار كل شىء طبقا لرغباته ، وكان كثير البذل ، سفاكا للدماء أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة إلا أنه كان خبيرا فى قيادة الجيوش وإدارة الأحكام حتى قيل أنه عندما اغتصب العرش من عمه جلال الدين الخلجى صار ينثر الذهب فى طريقه على أعوان الملك السابقين استجلابا لهم وكسبا لودهم فلما تم له ذلك قلب عليهم وقبض عليهم فقتل البعض وسمل أعين الآخرين وصادر

(٧) عبدالحى الحسنى الندوى : المرجع السابق ، ص ١٨١ .
(٨) د . عبد المنعم : المرجع السابق ، ص ١١٣ .
(٩) عبدالحى الحسنى الندوى : المرجع السابق ص ١٨٦ .

أموالهم ولم يستثن إلا ثلاثة تنزهت نفوسهم عن قبول الرشوة وارتكاب الخيانة لسيدهم[١٠] وفى عهد علاء الدين قامت العديد من الحركات الانفصالية ، منها ما قام به ابن أخيه « عمر خان » الذى كان حاكما على « بدوان » فما كان من علاء الدين إلا أن سير له جيشا فقبض عليه وعلى حلفائه وسمل أعينهم[١١] .

وقد شهدت الهند فى عهد علاء الدين الخلجى هجوما كاسحا للمغول تحت قيادة على بيك جانكيز خان سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م حتى وصلوا إلى أبواب « دهلى » وحاصروها فجهز لهم « علاء الدين » جيشا كبيرا عدته ثلاثمائة ألف رجل ، وألفان وسبعمائة فيل فقاتلهم قتالا شديدا حتى هزمهم وداست الفيلة رؤوسهم إلا أن كثيرا منهم قد تفرقوا فى البلاد واستوطنوا فيها وصاروا بعد قليل مصدر قلق وخطر عليه فاضطر لتعقبهم والقضاء عليهم وقضى على عشرات الألوف منهم وكان ذلك سنة ٧٠٥هـ / ١٣٠٥م وقد واصل علاء الدين بعد ذلك فتوحاته وانتصاراته حتى قيل أن عدد المعارك التى دخلها أربع وثمانون ظفر فيها كلها وغنم ، ولذا لقب « بإسكندر الثانى » وتوفى فى شوال سنة ٧١٦هـ / ١٣١٧م[١٢] وينسب لعلاء الدين العديد من الإصلاحات الداخلية والمساجد وإصلاحات المساجد القديمة ، ويوجد لعلاء الدين بوابة كبيرة بجامع قطب الدين بدهلى حيث أجرى علاء الدين العديد من الإصلاحات والترميمات[٢] .

وبعد وفاة علاء الدين أقعد نائبه ولده الأصغر « شهاب الدين » على سرير الملك وتسلط عليه وكان « لشهاب الدين » أربعة أخوة سملت أعين ثلاثة هم : « أبو بكر خان » و « شادى خان » و « خضر خان » وسجن الرابع وهو « قطب الدين » وكان ينوى سمل عينه غير أن أمهم كلفت مملوكين من مماليك أبيهم بقتل نائب السلطنة وتم لهم ذلك وأفرجوا عن « قطب الدين » الذى لم يلبث أن خلع أخاه الصغير شهاب الدين سنة سبع عشرة وسبعمائة وتولى مكانه[١٤] .

وكان قطب الدين ميالا للهو والشراب وسفك الدماء وكان نصيبه هو الآخر القتل على يد وزيره وقائد جيشه « خسروخان » الذى كان - بدوره - لاهيا عابثا هو الآخر فاستغاث المسلمون بحاكم « لاهور » الملك طغلق شاه فوجد الفرصة سانحة للزحف إلى دهلى وتخليص البلاد من شر هذا السلطان وتم له ذلك سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م وبذلك انتقلت سلطنة الهند إلى أسرة طغلق شاه وأفل نجم الخليجيين حتى استطاعوا بعد ذلك على يد محمد شاه سنة ١٤٣٦م تكوين إمارة لهم فى مدينة « مالوا »[١٥] .

(١٠) عبدالمجيد العبد : المرجع السابق ص ١٠ .

(11) K.M. Munshi : The history and culture of the Indian people (The Delhi soltans) Bombay 1960. p. 21.

(١٢) د . عبدالمنعم النمر : المرجع السابق ، ص ١١٨ - ١١٩ .

Cincent Smith: History of fine art in India. 1939. p. 154.

(١٤) عبدالحى الحسنى الندوى : المرجع السابق ، ص ١٩١

(١٥) عبدالمنعم النمر : المرجع السابق ، ص ١٢٨ .